الإبدال والقلب المكاني
في حاشية (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية)
دراسة وصفية تحليلية

أ.م.م.بيستون علي كريم
جامعة السليمانية/ كلية اللغات
قسم اللغة العربية

م.م.فهمي كريم أحمد
جامعة السليمانية/ كلية اللغات
قسم اللغة العربية

(هذا البحث، مستل من أطروحة دكتوراه للباحث فهمي كريم أحمد، بإشراف أ.م.م.بيستون علي كريم ، وهو من متطلبات ماقبل مناقشة الأطروحة)

پوختە

کاتێک دەقێکی ئەدەبی یان هونەری یان هەر جۆرێکیتر کەلەلایەن هەریەکێک لە مرۆڤەکانەوە نوسرابێت شایانی ئەوە بێت چەندین لێکدانەوەو خوێندنەوەی جیاوازی بۆ بکرێت، ئەی ئەگەر بێت و ئەو دەقە لەلایەن بەدیهێنەری زەوی و ئاسمانەکانەوە دابەزێنرابێتە سەر زەوی دەبێت شایانی چەند لێکۆلینەوە و خوێندنەوەی جیاواز بێت، بێگومان هەمووان دەزانین کە قورئانی پیرۆز یەکێکە لەو دەقانەی کە تا ئەو رۆژەی ژیان بەردەوام دەبێت دەکرێت لێکۆلینەوە و توێژینەوەی لەسەر بکرێت بەبێ ئەوەی هیچ لەبەهای کەم کەبکاتەوە، هەر لەبەر ئەمەشە توێژەر یەکێک لە تەفسیرەکانی قورئانی پیرۆزی هەڵبژارد، ئەویش تەفسیری (الفتوحات الإلهیه)ـە کە نووسەرەکەی "شێخ سولەیمان کوری عمر ناسراو به الجمل"، بەجۆرێک کە تەفسیرەکەی پڕە لە بۆچوونی زمانەوانی و شایەنی ئەوەیە توێژینەوەی وردی لەسەر بکرێت. توێژەر لەو تەفسیرەدا بابەتێکی بۆ توێژینەوە هەڵبژاردووە کە بریتییە لە "االإبدال والقلب المکانی" کە دوو بابەتن لەبواری دەنگسازیدا و هەوڵیداوە کە بۆچوونەکانی الجمل تاوتوێ بکات ئەویش بە پشتبەستن و گەڕانەوە بۆ بنەڕەتی ئەو بۆچوونانە لەکتێبە زمانەوانییە دێرین و نوێیەکاندا.

Abstract

When a literary text, art text or any texts that have been written by humankind are worth many different interpretations and studies, but what if that text has been descended by the Creator of the universe, how many different translations and studies that text worth making? Doubtlessly, we all know that the Holy Quran is one ot those texts, so long the life continues, would be possible to be researched and analyzed without reduction of its´ significance. Therefor the researcher selected one of the Holy Quraans´ interpretation named (ALftwhat ALelahyia) which was written by shekh Sulaiman Omer, known as (ALjamal). His interpretation is full of lingual thoughts are worth to be researched accurately. The researcher has selected a subject from that interpretation to research. The subject is (ALibdal wa ALlqalb ALmakani) which is composed of two topics on phonology. The researcher has tried to analyze ALjamals´ thoughts depending and referring to the basics of those thoughts from the old and new lingual books.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على نبيّه الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيّبين الطّاهرين وصحبه الغرّ الميامين.

أمّا بعد ...

فما زال القرآن الكريم معيناً ثرياً ينهل منه أهل العلم على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم، ذلك أنّه الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الردّ.

ولما كانت اللغة العربية هي التي تشرفت بكونها لغة القرآن فقد عني بها علماء العربية مع ظهور البواكير الأولى للدرس اللغوي رغبةً منهم في فهم هذا الكتاب المعجز، والوقوف على أحكامه، لذلك ظهرت مصنفات متنوعة دأبت على دراسة ألفاظ القرآن الكريم، وبيان معانيها، ومن تلك المصنفات كتب التفسير التي حفلت بعلوم جمّة انصب مجملها في خدمة هذا الكتاب الكريم. وانطلاقاً من هذه الرؤية، اخترنا مصنَّفاً تفسيرياً من مصنَّفات القرن الثالث عشر، وهو (الفتوحات الإلهية) للشيخ سليمان بن عمر المعروف بالجمل ، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أنْ أقسمه على ثلاثة مباحث، حيث خصصت المبحث الأول للحديث عن نبذة مختصرة من السيرة الذاتية لمؤلف هذا التفسير ، فضلاً عن الكلام على منهجه وأسلوبه في عرض القضايا الغوية وكيفية التعامل معها، أمّا المحبث الثاني فقد خصصت لدراسة موضوع الإبدال وما يتعلق به ، أمّا المبحث الثالث والأخير فقد تناولت فيه قضيّة القلب المكاني ودرستها دراسة علمية. وانتهيت بمجموعة من الاستنتاجات.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للشيخ الجمل

اسمه: هو سليمان عمر بن منصور العجيلي المشهور بـ (الجمل)، ويعرف أبوه وجدّه بـ (شنت) [الجبريتي: ٢/٨٨].

مولده : ولد الشيخ الجمل بـ (منية عجيل) إحدى قرى الغربية ، وبعد ذلك وصل إلى مصر.[البيطار،١٩٩٣، ٢: ٦٩٢]

حياته: بدأت حياته العلمية بعد أن رحل من مسقط رأسه (منية) إلى مصر أي (القاهرة) ملازماً أستاذه ومعلمه الشيخ الحفني، فقد كان الشيخ ينفق عليه وعلى غيره من فضلاء العصر، و أراد الجمل أن يتعلّم و يتفقّه في الدّين ويتزهد في الحياة ويتفرغ للعبادة، وبسبب ذلك لم يستطع الزواج فلم يرثه أحد، في آخر عمره تقشف في ملبسه، حيث لبس كساء صوف وعمامة صوف وطيلسانا، واشتهر أيضاً بالزهد والصلاح وكان يتردد كثيراً لزيارة المشايخ والأولياء ولم يزل على حاله حتى تُوفي سنة (١٢٠٤ هـ). [الجبريتي: ٢: ٨٨]

أخلاقه: بعد هجرة الشيخ الجمل من قريته (منية عجيل)، لقد لازم الشيخ الحفني فشملته بركته وأخذ عنه طريق الخلوتية ولقنه الأسماء وأذن له، واشتهر بالصلاح وعفّة النّفس وقد تنبّه الشيخ الحفني إلى هذه المزايا الحسنة في أخلاقه و أدبه، لذا جعله إماماً وخطيباً بالمسجد الملاصق لمنزله، هذا فضلاً عن أنّ هناك من وصفه بـ (الولي)، وذلك من خلال قول الناصري الذي نقل عنه الكتاني في ترجمته له: " إن لم يكن المترجم ولياً فليس لله بمصر من ولي" [الكتاني،١٩٨٢، ١: ٣٠٠]

مذهبه ومكانته العلمية:

كان الجمل شافعي المذهب أزهري العلم. [الباباني، ١٩٥١، ١: ٤٠٦] وقد حظي بمكانة علمية رفيعة، لأنّ كل من ترجم له مدحوه وذكروا له الصفات التي ينبغي أن تكون موجودة عند العلماء، فقالوا عنه كان الشيخ سليمان علامة، رحالة، فهامة،آية الله الكبرى، فقيهاً، محدثاً، مفسراً، محققاً، متبحراً، صوفياً صالحاً، ..... [الكتاني،١٩٨٢، ١: ٣٠٠]

ويقول عنه الشيخ عبدالرزاق البيطار في كتابه (حلية البشر في تأريخ القرن الثالث عشر): "الشيخ سليمان بن عمر بن منصور الشافعي الأزهري المصري المعروف بالجمل،٢٠٠٩، الفاضل العلامة، والرحالة الفهامة، المحدث الفقيه، والمتبحر النبيه، والصوفي الصالح، والمتعبد الناجح، ....الخ" [البيطار،١٩٩٣، ٢ :٦٩٢]

وقد ذكر فيه عبدالحيّ بن عبدالكبير الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس) قوله: "الجمل: هو الشيخ أبو داود سليمان الجمل المصري محشي الجلالين ترجمه ابن عبدالسلام الناصري في رحلته الكبرى فقال: (هذا الرجل آية الله الكبرى في خلقه مع كونه أميّاً لا يحسب ولا يكتب، بل ولا يطالع، ودأبه أن يأتي بمن يطالع له حصته في سائر ما يريد تدريسه من الفنون، فيسرد عليه، ويحفظ هو جميع ذلك، ولم يتزوج قط، وله بالمشهد الحسيني درس كبير يحضره الجمّ الغفير في التفسير، حضرناه، وله حاشية نفيسة على تفسير الجلالين، وهي سائرة على النصاب، فعادته أن يأتي أخ له كلّ يوم مع طالب من تلاميذته إلى بيته فيسردون على الشيخ التفاسير فيأمرهم بالكتب، وله شرح على دلائل الخيرات، وشرح البحر للشاذلي" [الكتاني، ١٩٨٢، ١: ٣٠٠]

قراءاته:

كان الجمل قد قرأ المواهب والشمائل، وصحيح البخاري، وتفسير الجلالين، بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشاء، وحضره أكثر الطلبة. [الجبرتي: ٢: ٨٨]

عصره:

يبدو أنّ العصر الذي عاش فيه الجمل في القاهرة كان مشحوناً بالاضطرابات والتصارع بين المماليك والعثمانيين، وكان لهذه الأحداث أثرٌ واضح في الأزهر و مشايخه الذين كانوا يلقون المحاضرات على طلابه الذين أتوا من جميع الأقطار المعمورة لكي يتلقوا العلم والمعرفة في هذا الصرح العظيم آنذاك، ولم أجد أحداً قد تكلّم على العصر الذي عاش فيه الجمل إلاّ في نصّ من كتاب (المختار من تأريخ الجبرتي) للكاتب (محمد قنديل البقلي)، ولم يكن الكتاب متحدثاً في النص عن العصر كلّه في ذلك الوقت، لأنّ السَّنة مرتبطة بما قبلها من السنين فالنصّ يقول: "يذكر الجبرتي أنّه قد حدث كثير من الأحداث في السَّنة مثل {حسن كتخذا} المحتسب من الحسبة، وتولي رضوان آغا ولكن أراد حسن أن يصنع دسيسة ليعود إليه منصبه التكفل بجراية الجامع الأزهر، وكذلك أوفى النيل أذرعه وكسر السدّ بحضرة الباشا والأمراء على العادة، ووقعت واقعة بيم عسكر القليونجية والأرنؤدية بسوق السلاح، وحدث فيها قتل كبير من أفراد الطائفتين، وحدث هلع وخوف في قلوب الناس، واستمر ذلك لمدة خمسة أيام ثمّ أدرك القضية إسماعيل بك وصالحهم، وكان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ العروسي" [البقلي،١٩٥٨، ٤: ٢]

وأردت أن أذكر هذا النصّ لأبيّن ما كان يحدث في ذلك العصر من فتن واضطرابات ولم يكن ذلك قاصراً على السَّنة التي مات فيها الجمل فقط، وإنّما كان يحدث منذ زمن بعيد، لتصارع الأمراء على السلطة فكل واحد منهم كان يريد أن يفوز بها مهما كلّفه ذلك لما يعود إليه من أموال إذا فاز به، فلذلك كانوا يصنعون الدسائس والحيل والخدع حتى لو نتج عن ذلك قتل و دمار وخراب للوصول إلى منصب يغنمون منه، وكان من ضمن هذه المناصب كفالة الأزهر، لأنّه كانت له جراية تنفق على طلاب العلم الذين جاءوا من جميع الأقطار لتلقي العلم، فإذا فاز بها أحد الأمراء كان يعوض ما دفعه من قطع كثير من هذه الجراية تعويضاً لما أنفقه، لايهمه في ذلك قوت الطلاب، ولم يكن الأمر محصوراً في الحسبة فقط، وإنّما كان ممتداً إلى الولاة أنفسهم، لأنّهم كانوا يخشون العزل، فكانوا يجمعون ما يستطيعون جمعه من أهل القطر المصري، تعويضاً لما دفعوه من رشاوى للباب العالي (السلطان العثماني) ليرضى عنهم على حسب الشعب المصري، وهو أن يلتزم أحد الأغنياء بدفع الضريبة المقررة على الأراضي الزراعية في أيّ قطر وكلّ بها السلطات ثمّ يقوم هو بجمعها

أضعافاً مضاعفة، من أهل هذا القطر الذي دفع عنه،فكان يقوم بجمعه من الفلاحين بأيّ طريقة كانت، وهذا ماجعل الولاة والحكام ينصرفون عن البناء والتعمير، وما يمكن أن يصلح الأرض ليزداد الإنتاج إلى جمع الأموال ووضعها في خزانتهم، فلذلك كان مؤثراً في حياة المصريين جميعهم بما فيهم الشيوخ والعلماء، وكان ذلك قبل مجيء الحملة الفرنسية، وتولي (محمد علي) حكم البلاد.

شيوخه:

لقد ذكر المترجمون [ينظر: الجبرتي: ٢: ٨٨، والكتاني،١٩٨٢، ١: ٣٠١] للجمل أن له شيوخاً عدة، ولكن أبرزهم الشيخ (الحفني أو الحفناوي)، والشيخ (عطية الأجهوري) وهما اللذان أكتفي بذكرهما لأهميتهما وتأثيرهما في حياة الجمل الخاصة والعلمية، وأبدأ بمن كان له الفضل على الجمل وهو (الشخ الحفني).

١. **الشيخ الحفني:**

هو محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الخلوتي، وهو شريف حسيني من جهة أم أبيه، وهي سيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن علي بن عبدالكريم بن السيد برطع المدفون ببركة الحاج، وينتهي نسبه إلى الإمام حسين (رضي الله عنه)، وكان والده مستوفياً عن بعض الأمراء بمصر، وكان على غاية من العفاف، ولد على رأس سنة (١١٠٠هـ) ببلدة (حفنا) بالقصر، وتوفي يوم السبت قبل السابع عشر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف للهجرة (١١٨١هـ) ودُفِنَ يومَ الأحد في مشهد عظيم عن عمر يناهز واحداً وثمانين عاماً. [الزركلي،٢٠٠٢، ٦: ١٣٥]

وقد شهد له معاصروه بالتقدم في العلوم، حيث لازمه جلّ طلبة العلم ومن بهم يعلو المعقول والمنقول عندما كان يجلس للإفادة، على الرغم من أنّه كان إذ ذاك يمرّ بضيق العيش والنفقة، فاشترى دواة وأقلاماً وأوراقاً، واشتغل بنسخ الكتب فشقّ عليه ذلك خوفاً من انقطاعه عن العلم. واتبع الطريقة الخلوتية على يد الشيخ (السيد البكري) القادم من الشام سنة (١١٣٣هـ)، وهي الطريقة التي اتبعها الشيخ (الجمل) أحد تلاميذه، وله تلاميذ كثيرون أخذوا عنه هذه الطريقة، وبهذا العلم الجمّ أفاد تلاميذه إفادة عظيمة في كثير من مجالات العلم كـ (التفسير والفقه والنحو)، وله تآليف كثيرة من أشهرها، (حاشية على شرح رسالة العضد للسعد، وعلى الشنشوري في الفرائض، وعلى شرح الهمزية لابن حجر، وعلى مختصر السعد، وعلى شرح السمرقندي للياسمينية في الجبر والمقابلة) وغير ذلك. [ابن إليان،١٩٢٨، ٢: ٧٨١]

٢.الشيخ الأجهوري:

هو عطية بن عطية الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير، وُلِد بأجهور الورد إحدى قرى مصر، وقدِم مصر فحضر دروس الشيخ العشماوي، والشيخ مصطفى العزيزي، وتفقه عليهما، وعلى غيرهما، وأتقن الأصول، وسمع الحديث، ودرس المنهج والتحرير مراراً، وكذا جمع الجوامع بمسجد الشيخ مطهر، وله في أسباب النزول مؤلف حسنٌ، وحاشية مفيدة على الجلالين، وكذلك حاشية شرح الزرقاني على البيقونية في مصطلح الحديث، وغير ذلك. وقد حضر عليه أكثر علماء مصر الموجودين، واعترفوا بفضله، وأنجبوا ببركته، وكان يتأني في تقريره، يكرر الإلقاء مراراً مراعاة للمستلمين الذين يكتبون ما يقوله. ولمّا بنى المرحوم (عبدالرحمن كتخذا) الجامع المعروف الآن بـ (الشيخ مطهر) الذي كان أصله مدرسة للحنفية، بنى للمترجم أيضاً بيتاً بـ (دهليزها)، وسكن فيه بعياله وأولاده حتى توفي في أواخر رمضان سنة ألفٍ ومائة وتسعين للهجرة (١١٩٠هـ). [ينظر: الجبرتي: ١: ٤٨٨، والزركلي،٢٠٠٢، ٤: ٢٧٣]

فالشيخ عطية يشبه الشيخ الجمل في كثير من أحواله، منها: أنّه وُلِد خارج القاهرة، ثمّ رحل من بلدته إلى القاهرة كما حدث مع الجمل، وأنّه كذلك قد التحق فور وصوله بالدروس الشرعية، وانكبّ على يد أشياخ أفاضل في هذا المجال، كما صنع الجمل، وكثرث قراءاته وحضوره لمجالس العلماء، وأنّه أيضاً قد ألفّ كتباً علمية كثيرة، كما فعل

الشيء نفسه تليمذه الوفي، إلاّ أنّه افترق في حالة واحدة فقط مع الجمل ألا وهي أنّ الشيخ عطية قد تزوج وأنجب، أمّا الشيخ الجمل فلم يفعل ذلك.

ومن خلال عرضي لحياة هذين العالمين الجليلين (الحفناوي والأجهوري) ومدى ما يجمعانه من علم في كافّة المجالات وعلى يد أكابر العلماء في ذلك الوقت، بل ودراستهم لكتب السابقين في كثير من مجالات العلم، فقد ظهر لي أثرهما بشكل ملحوظ في شخصية الجمل العلمية.

منهجه في الفتوحات الإلهية:

من خلال قراءتي لكتاب الفتوحات الإلهية وجدتُ أنّ الشيخ الجمل قد قام بجمع هذه الحواشي من أشهر كتب التفاسير ومن سماعه من شيخه المقصود منه (الشيخ عطية الأجهوري)، وأستاذه المقصود منه (الشيخ الشمس الحفناوي)، هذا فضلاً عن نقله من أشهر معاجم اللغة وأوسع المصنفات المعتبرة في الإعراب والقراءات في القرآن الكريم، وقد كان أميناً جدّاً في عزو الآراء والأقوال التي نقلها في حاشيته إلى أصحابها والمصادر التي أخذها منها وذلك من أجل ما ذكره: "لينتفع بها المبتدىء إن شاء الله تعالى، جمعتها من التفاسير وقواعد المعقول أسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها وسميتها (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة) "[الجمل،٢٠٠٩، ١ /٩]

وقد تميّز منهجه بمجموعة من المزايا التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. **نيّته ومقصده في تأليف (الفتوحات الإلهية):** بيّن الشيخ الجمل في مقدمة حاشيته مقصده و نيّته في تأليف هذا الكتاب من خلال قوله: "فيقول العبد الفقير سليمان الجمل خادم الفقراء : هذه حواش تتعلق بتفسير الإمامين الجليلين، الإمام المحقق (محمد بن أحمد المحلي الشافعي)، والإمام (جلال الدين السيوطي الشافعي) رحمهما الله تعالى وأعاد علينا من بركاتهما آمين، لينتفع بها المبتدىء إن شاء الله تعالى، جمعتها من التفاسير وقواعد المعقول أسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها وسميتها (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة) وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه تفويضي" [الجمل،٢٠٠٩، ١/ ٩]

٢. **أمانته العلمية :** لقد كان الشيخ الجمل أميناً في كل الأقوال أو الآراء التي نقلهما عند شرحه للآيات القرآنية أو لما قاله الإمامان الجليلان (جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي)، وكان ملتزماً بعزو كل ما نقله إلى صاحبه، وفي الواقع أنّ مافي هذه الحاشية هو نقل عن من مجموعة من التفاسير المشهورة والمعتبرة عند أهل العلم، منها البيضاوي وحواشيه، الخازن، والخطيب، والسمين، وأبو السعود، والبحر المحيط، والقرطبي ، والكشاف، وابن عطية، وذلك بأمانة علمية دقيقة، حيث ينسب كلّ نصٍّ إلى قائله وتتكرر فيها أسماء المنقول عنهم بشكل لافت للنظر حتى تبلغ في بعض التقويلات القصيرة خمسة أسماء ولكن المؤكد أنّه لا تخلو صفحة من القول "انتهى فلان" عدة مرات. ولم يكتف بعزو النصوص إلى أصحابها فحسب بل وجدناه يحدد بدايتها ويختم نهايتها بقوله " أ هـ . فلان" ومن ذلك ما جاء عند شرحه لقوله تعالى : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨]، أي قلوب هؤلاء وأولئك في العمى والعناد، وإلاّ لما تشابهت أقاويلهم الباطلة. أ هـ. أبو السعود" [الجمل،٢٠٠٩، ١: ١٦٢]

٣. **الوضوح وسهولة العرض:** منهج المؤلف واضح لا غموض فيه، ومرتب ترتيباً فيه دقّة، وبساطة في العرض والتقديم تجعل القارىء لا يملّ ، ولايضيع في ثنايا المعلومات تَيهاً، فهي على طولها وغزارتها منظمة، محكمة الوضع، تسمح لطالب العلم بالوقوف على القضايا النحوية والصرفية، والدلالية، والصوتية، والبلاغية، حتى المعجمية، فينهل منها في يُسرٍ وسهولةٍ، ومردُّ ذلك التزام المؤلف تتبع آيات الذكر العزيز الحكيم وفق ترتيبها في القرآن الكريم، هذا فضلاً عن أنّه لم يكتف بشرح ما قاله الجلالان في تفسير الآيات، وإنّما حاول بيان الآيات التي يقف عليها الإمامان الجليلان

وكشف ما فيها من الغموض أو الوجوه الإعرابية أو الصرفية أو غيرهما من المستويات اللغوية، وذلك بالاستناد إلى أهم المصادر في هذه الموضوعات. ومن ذلك ما قاله في شرح قوله تعالى:ﱡ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﱠ [البقرة: ١٢٤] وهو يقول : "قوله (و) [اذكر] (وإذ ابتلى إبراهيم الخ) الخطاب بهذا المقدر للنبي (صلّى الله عليه وسلّم)، ويصحّ أن يقدر واذكروا خطاباً لبني إسرائيل، وعبارة أبي السعود، وإذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام إي : واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا ما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد الوازعة عن الشرك، فيقبلوا الحقّ ويتركوا ما هم فيه من الباطل، ولايبعدُ أن ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يُحكى عمن ينتسبون إلى ملّته من إبراهيم وأبنائه من الأفعال والأقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم أهـ .

والغرض من هذا التذكير توبيخ أهل الملل المخالفين، وذلك لأنّ إبراهيم يعترف بفضله جميع الطوائف قديماً وحديثاً، فحكى الله تعالى عن إبراهيم أموراً توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد، لأنّ ما أوجبه الله تعالى على إبراهيم جاء به محمد وفي ذلك حجّة عليهم أهـ خازن.

قوله: [اختبر] اختبار الله عنده مجاز، لأنّ حقيقة الابتلاء والامتحان لاستفادة علم خفي على المختبر، وذلك غير جائز في حقّ الله تعالى ، لأنّه تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد، فهو استعارة تبعية واقعة على طريق التمثيل أي فعل معه فعلاً مثل فعل المختبر أهـ كرخي." [الجمل،٢٠٠٩، ١: ٦٥].

٤. ومن منهجه أيضاً أنّه يذكر أكثر من رأي في مسألة واحدة، من دون ترجيح أي واحد من هذه الآراء في كثير من الأحيان، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى:ﱡوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﱠ [المائدة: ٩]، ذكر أكثر من رأي وذلك بقوله: "وفي السمين: وعد يتعدى لاثنين أولهما الموصول، والثاني محذوف أي الجنّة، .....، وذكر الزمخشري في الآية احتمالات أخر، أحدها: أنّ الجملة من قوله لهم مغفرة بيان للوعد، .....، والثاني: أنّ الجملة منصوبة بقول محذوف، .....، والثالث: إجراء الوعد مجرى القول، لأنّه ضربٌ منه، .....، وإجراء الوعد مجرى القول مذهب كوفي"

٥. كان كثير الرجوع إلى المعاجم اللغوية المشهورة لمعرفة أصل بعض الكلمات وتقلباتها واشتقاقاتها، فمثلاً عندما أراد أن يشرح قول المفسر (يلزقان)، فقد رجع إلى معجم المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: ٧٧٠هـ)، وذلك بقوله: "وفي المصباح: لَزِقَ بِهِ الشَّيْءُ يَلْزَقُ لُزُوقًا وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَلْزَقْتُهُ وَلَزَّقْتُهُ تَلْزِيقًا فَعَلْتُهُ مِنْ غَيْرِ إحْكَامٍ وَلَا إتْقَانٍ فَهُوَ مُلَزَّقٌ أَيْ غَيْرُ وَثِيقٍ"

٦. وقد استشهد بالأحاديث النبوية من دون الرجوع إلى تخريج هذه الأحاديث من مصادرها الأصلية.

٧. ونذكر مجموعة أخرى بصورة مختصرة من خصائص المنهج الذي اتبعه الشيخ المؤلف في كتابة حواشيه، منها: كان كثير الاستشهاد بالقراءات القرآنية ، ونادراً ما نجده إعراباً من دون الإشارة إلى المصدر، وكان يستشهد كثيراً بأقوال بعض العلماء والنحاة من دون الرجوع إلى المصدر الأصلي الذي وردت فيه هذه الأقوال، ولكن اكتفى بذكر اسم التفسير الذي جاء فيه هذا الرأي، ونادراً مانجد الجمل يأتي بآراء المفسرين ولكن بنوع من التصرف أي ليس نقلاً مباشراً، وأخيراً نجده في بعض الأحيان أنّه يذكر بعض القصص التي لا أصل لها ولا سنداً، بل هي من الإسرائيليات التي نفها المحققون والمؤرخون.

مؤلفاته:

لقد تمكن الشيخ الجمل خلال مسيرته العلمية أن يؤلف مجموعة من التآليف، وكان جمعيها عبارة عن حواش كتبها على مجموعة من المصنفات المشهورة، منها:

١. حاشية الجمل على شرح المنهج لشيخ الإسلام (زكريا الأنصاري)، وتسمى كما قال الجمل نفسه عنها: "وسميتها (فتوحات الوهّاب بتوضيح شرح منهج الطلاب)" [حاشية الجمل على شرح المنهج:١] حيث جمع فيه بعض الشروح والحواشي التي التزم فيها بالنقل الصحيح عن أصحابها، وتنقيحها حتى يجعلها وافية مثل نقله ما زاد به الشمس الرملي في شرحه على شرح المنهج.

٢. تعليقه وشرحه لشرح شمائل النبـــي (صلى الله عليه وسلم) لأبي عيسى الترمذي تأليف (البخش حسن بن عبدالله الحلبـــي)، وسماها (المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية) [البابانى،١٩٥١، ١: ٤٠٦]

٣. القول المنير في شرح الحزب الكبير ، الشاذلي

٤. المنح الإلهيات في شرح دلائل الخيرات من شرح بانت سُعاد

٥. الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية لشرح الهمزية.

المبحث الثاني: الإبدال

الإبدال في اصطلاح علماء العربية القدماء "إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة"(أبو الطيب، ١٩٦٠، ١: ٩)، أو "وضع الشيء مكان غيره"(ابن سيدة، ١٩٩٦، ٤: ١٧٩).

أما المحدثون فقد تابعوا القدماء في ان الإبدال "إقامة حرف مكان حرف"(آل ياسين، ١٩٨٠: ٤٠٧)، إلا أن قسما منهم يرفض القصد والتعمد في الإبدال، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين "ولو انهم عبروا بقولهم: (قيام حرف مكان حرف) لكانوا اقرب إلى التعبير عن طبيعة التطور الصوتي الذي يطرأ على اللغة، فالواقع أن حدوث هذه الظاهرة غير متوقف على إرادة تقصد إليه، وإنما هو عملية ترتبط بالتاريخ وبالزمن الطويل"(شاهين، ١٩٨٧، ٢٦٥)، وهو بذلك يرد على ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) الذي ذهب إلى أن الإبدال: "أن تقيم حرفا مقام حرف، إما ضرورة، وإما صنعة واستحسانا"(ابن يعيش، ٧: ١١١) وما ذهب إليه المحدثون هو الصواب.

واختلف القدماء في الحروف التي يحصل فيها الإبدال، فعدها ابن مالك(ت ٦٧٢هـ) تسعة جمعها في قوله: (هدأت موطيا)(ابن عقيل، ٢٠٠٩، ٤: ١٥٥)، وزاد غيره ثلاثة أحرف هي (الجيم واللام والنون) فجمع حروف البدل بقوله: (طال يوم انجدته)(القالي، ١٩٢٦، ٢: ١٨٦)، وبلغت عند ابن سيدة(٤٥٨هـ) في المخصص ثلاثة عشر حرفا بعد ان اسقط (اللام) واضاف (الصاد والزاي)(ابن سيدة، ١٩٩٦، ٤: ١٧٩).

ولا يحدث الإبدال إلا أن تكون بين الحرفين المبدلين علاقة تسمح بإبدال أحدهما محل الآخر، يقول الفراء(ت ٢٠٧هـ): "إنما يعلم ما تناسب من الحروف باللغة بان يبدل الحرف من أخيه ويكون معه في قافية واحدة مثل: (مدح، ومده) والنون والميم في قافية، والعين والهمزة مثل: (أستأذبت، واستعذبت)، وهذا كثير يبدل الحرف من أخيه فيدغم فيه إذا قرب ذلك القرب"(شاهين، ١٩٨٧: ٢٦٦).

إلا أن هناك فريقا لا يرون وجوبا لاشتراط علاقة بين الحرفين المبدلين، ومن هؤلاء أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ)، الذي جمع في كتابه (الإبدال) كثيرا من الألفاظ التي اختلفت في حرف واحد دون بقية الأحرف، رغم انه قد لا توجد أدنى علاقة بين الحرفين المختلفين(شاهين،١٩٨٧: ٢٦٦).

والصواب يحتم وجود علاقة-مخرجية أو وصفية-بين الحرفين المبدلين. ووجود العلاقة بين الحرفين لا يكفي بالقول بوجود إبدال بين اللفظين، فمن الضروري أن يكون المعنى واحدا بين اللفظين، فإذا اختلف المعنى بينهما انعدمت الصلة، وكان كل لفظ قائما بذاته، مستقلا عن غيره.

فلا يمكن ان نعد تغير الحرف من الإبدال إذا تغير المعنى، إذ أن الإبدال "هو التغير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور أحد الأصوات فيها إلى صوت آخر مع بقاء المعنى واحدا" (زيدان، ١٩٧٠: ٣٧).

والإبدال ظاهرة لغوية ناتجة عن التطور الصوتي الذي يحدث للغات الحية التي تخضع للتطور من جيل لآخر "فحين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة لتطور صوتي" (أنيس، ١٩٦٦: ٧٥). وإن الميل إلى التخفيف والمماثلة بين الأصوات يعد أحد الأسباب التي تدفع إلى الإبدال بين الأصوات المتقاربة، فعملية الإبدال تهدف إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين وتسهم في توفير الجهد العضلي.(الجندي،١٩٦٥، ١: ٣٤٩).

١ - الإبدال بين التاء والدال :

التاء صوت مهموس والدال صوت مجهور، وكلاهما أسناني لثوي(سيبويه، ١٩٨٣، ٤: ٤٣٣)، فهما من مخرج واحد، وبينهما علاقة مخرجيبة، واتفاق في صفة الشدة إذ أن كلا منهما شديد، إلا أنهما يختلفان في صفة الجهر والهمس، وهذه علاقة تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧]، يقول الجمل نقلاً عن أبي السعود: "قوله (أو يكبتهم) الكبت: شدة الغيظ أو وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ أوالحرقة، فالتاء مبدلة من الدّال" (الجمل،٢٠٠٩، ١: ٥١٨) ثمّ أشار إلى أنّ الكبت يأتي بمعنى صرف الذلّ وذلك من قولك: كبت الله العدوّ كبتاً أي أذله وصرفه، وبعد ذلك ذهب إلى أنّ أصله هو من الكبد ويأتي بمعنى بلغ بهم الهمّ والحزن إلى أكبادهم فأبدلت الدّال تاءً لقرب مخرجها، ومثل ذلك قولهم: سبت رأسه وسبده أي حلقه، وقد أشار إلى ما قاله السمين حول هذا الإبدال: "والكبت الإصابة بمكروه، وقيل: هو الصرع على للوجه واليدين، وعلى هذين فالتاء أصلية، ليست بدلاً من شيء بل هي مادة مستقلة. وقيل: أصله من (كبده)، إذا أصابه بمكروه أثر في كبده وجعا، كقولك: رأسته، أي: أصبت رأسه، ويدل على ذلك قراءة بعضهم: (أو يكبدهم)- بالدّال- والعرب تبدل التاء من الدال" (الجمل،٢٠٠٩، ١: ٥١٨) ، على سبيل المثال، قالوا: هرت الثوب، وهرده، وسبت رأسه، وسبده- إذا حلقه- وقد قيل: إن قراءة لاحق أصلها التاء، وإنما أبدلت دالا، كقولهم: سبد رأسه، وهرد الثوب، والأصل فيهما التاء، (ابن عادل، ١٩٩٨، ٥: ٥٢٧). في هذا النص طرح الجمل رأيين اثنين في أصل (كبت)، أولهما يرى ان التاء فيه أصلية، أما الثاني فيرى أن التاء في (كبت) بدل عن الدال، استشهد بقراءة بعضهم : (أو يكبدهم)، وفي هذا إبدال من باب تحول الصوت المهموس إلى صوت مجهور، والعرب تبدل التاء من الدال.

٢ - الإبدال بين الهاء والهمزة:

الهاء صوت حنجري رخو مهموس أمّا صوت الهمزة فهو حنجري أيضا، إلاّ أنّه شديد مهموس(حسان، ١٩٥٥: ٩٧)- بحسب وصف المحدثين له- فالعلاقة بينهما علاقة مخرجية فكلاهما من الحنجرة، إلاّ أنهما يختلفان في صفة الشدّة، فالأول رخو والثاني شديد، ويتفقان في صفة الهمس.

ومن أمثلة إبدال الهاء همزة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة ٤٩]. كما يرى أصحاب المعاجم (ينظر: ابن منظور،١٤١٤هـ، مادة أهل) أن (آل) الرجل هم أهله وعياله، وكذلك (أهل) فهي تحمل المعنى ذاته. واتحاد المعنى بين اللفظين يدل على وجود صلة بينهما "أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم

صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أنّ إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها، أو تطور عنها غير أنّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه"(أنيس، ١٩٦٦: ٥٨). فالعلاقة الصوتية بين الحرفين من حيث اتحاد المخرج والاتفاق في صفة الهمس، والعلاقة المعجمية في اتحاد معنييهما، كل هذا سوغ حدوث الإبدال. أما الجمل فلم يلفت إليه إلفاتاً مبينا إلاّ أنّه قد أشار إليه إشارة بسيطة وذلك بقوله: "قوله (آل فرعون) أتباعه وأهل دينه، وخصّ آل بالإضافة إلى أولي القدر والشرف كالانبياء والملوك، وإنّما قيل: آل فرعون لتصوره بصورة الاشراف أو لشرفه في قومه عندهم" [الجمل،٢٠٠٩، ١: ٨١] من هنا يتبين لنا أن الجمل يرى أنّ أصل (آل) هو أهل على الرغم من أنّه لم يشر إلى هذا الإبدال بصورة واضحة ولكن هذا يدلّ على أنّ هذا الإبدال كان معروفاً عند أهل اللغة قديماً وحديثاً، وقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال: فقال سيبويه(سيبويه،١٩٨٣، ٤: ٢٤٠) وأتباعه: "إنّ أصله (أهل) فأبدلت الهاء همزة لقربها منها، كما قالوا: (ماء)، وأصله: (ماه)، ثم أبدلت الهمزة ألفا لسكونها بعد همزة مفتوحة نحو: (آمن وآدم)، ولذلك إذا صغر رجع أصله فتقول: (أهيل)"، قال أبو البقاء(ت ٦١٦هـ): "وقال بعضهم: (أويل) فأبدلت الألف واوا". (العكبري، ١٣٢١هـ، ١: ٢١) وذهب النحاس(ت ٣٣٨هـ) إلى ان أصله (أهل) أيضا الا انه قلب الهاء ألفا من غير ان يقلبها أولا همزة، وتصغيره عنده على (أهيل) ومنهم من قال أصله: (أول) مشتق من (آل – يئول) أي: رجع، لان الإنسان يرجع إلى آله، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا...، فالرأي الثالث الذي يرى أنّ أصله (أول) لا إبدال فيه، وانما هو قلب أحد حروف العلة إلى حرف من جنسها.(النحاس، ١٩٨٨، ١: ١٧٨)

اما القولان الأول والثاني ففيهما إبدال الهاء همزة أو ألفا. ونحن نذهب مذهب سيبويه واتباعه- أصحاب الرأي الأول- في إبدال الهاء همزة، ثم قلب الهمزة ألفا لغرض التخفيف في النطق، يقول ابن جني(ت ٣٩٢هـ): "ومن ذلك قولهم: (آل) كقولنا: (آل الله، وآل رسوله) إنما أصلها (أهل)، ثم أبدلت الهاء همزة، فصار في التقدير (أ أل)، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا"(ابن جني، ٢٠٠٠، ١: ١١٣).

٣ - الإبدال بين السين والصاد:

إنّ التقارب بين صوتي السين والصاد سوغ الإبدال فيهما، فكلاهما من مخرج واحد، ما بين الثنايا وطرف اللسان، ويشتركان في صفات الهمس والصفير والرخاوة، إلاّ أنّ السين منفتح، والصاد مطبق، فالنظير المنفتح لصوت الصاد هو صوت السين(ابن سيدة،١٩٩٦، ٤: ٢٧٣). يقول الجمل في تفسير قوله تعالى:ٱهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: ٦] "والصراط الطريق المستسهل، وبعضهم لايقيده بالمستسهل، والمراد منه هنا دين الإسلام، وأصله السين، وقد قرأ بها قنبل(ت ٢٩١هـ) ، وإنما أبدلت صاداً، لأجل حرف الاستعلاء، وقد تشم الصاد في الصراط زاياً وبه قرأ خلف، وقرىء بالزاي المحضة ، ولم يرسم في المصحف إلا بالصاد مع اختلاف قراءتهم فيها كما تقدم، والصراط يذكر ويؤنث فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز" [الجمل،٢٠٠٩، ٨: ٤٨١ – ٤٨٢] ، ويكون هذا الإبدال مطرداً عند العرب، نحو: (صقر) في (سقر) و (صلخ) في (سلح) و (اصبغ) في (اسبغ) و (مصيطر) في (مسيطر) لما بينهما من التقارب وهذا التقارب بين الصوتين لا يكفي لإبدال السين صادا، وانما يحدث الإبدال بينهما إذا جاء بعدها واحد من أربعة أحرف هي (الطاء – القاف – الغين- الخاء) وهذا ما أشار إليه ابن عادل في تفسيره بقوله: (لأجل حرف الاستعلاء) (ابن عادل،١٩٩٨، ١: ٢٠٥ - ٢٠٦).

ويقول الفراء: "إن نفراً من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة وجاءت بعدها (ط- ق – غ – ف) صادا، وذلك ان الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك ليكون المخرج واحدا كما استخفوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: (الصراط

والسراط)"(أبو الطيب،١٩٦١، ١: ١٥). فهذه الأحرف التي أشار إليها الفراء أحرف مستعلية يتصل أقصى اللسان بأدنى الحلق، حين النطق بها، في حين أنّ السين مهموس منخفض، "فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي، لأنّ ذلك مما يثقل، فأبدلوا من السين صادا، لأنّ الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء، فيتجانس الصوت ولا يختلف"(ابن يعيش، ١٠: ٥٢). فالغاية من هذا الإبدال هو توفير المجهود للسان في الاستعلاء.

وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يقول الجمل: "قوله (الصندوق) بضم الصّاد وفتحها، ويجوز أن يكون بالزاي مفتوحة ومضومة وبالسين كذلك، ففيه ست لغات" [الجمل،٢٠٠٩، ١: ٣٣١]

٤- الباء والميم:

وَرَدَ إبدال الباء ميماً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، يقول الجمل: "قوله (لغة في مكّة) أي بقلب الميم باء، وسميت مكة لأنّها قليلة الماء، تقول العرب : مكّ الفيصل ضرع أمّه وأمكّه إذا امتص ما فيه من اللبن" [الجمل،٢٠٠٩، ١: ٤٩١]، ويبدو من قول الجمل السابق أنه مال إلى الرأي الذي يقول: أن مكّة وبكّة لغتان أي أنه قد حصل إبدال بين الباء والميم لأنّ هناك من فرّق بينهما، فقد نقل النسفي أنّ بكّة مشتقة من بكّة إذا زحمه لازدحام الناس فيه ويقصد بها موضع المسجد، أما مكّة هي علم للبلد الحرام (النسفي، ١٩٩٨، ١: ٢٥٧)، ونقل ابن الجوزي (ت٥٩٦هـ) عن الزّجاج قوله: " وأما (مكّة) بالميم فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكّة، والميم تبدل من الباء، يقال: ضرب لازب ولازم "(ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ١: ٣٠٦)، وقال الزمخشري(ت٥٢٨هـ) : " ومكّة وبكّة لغتان فيه نحو قولهم: النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الإعتقاب أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة " (الزمخشري،٢٠١٢، ١: ٢٩٦). ومثال هذا الإبدال في العربية كثير، فقد جاء عن الأصمعي(ت٢١٦هـ): "قال بناتَ بَخر وبَنَاتُ مَخر وهُنّ سحائب يأتين قُبُلَ الصيفِ مُنتَصِباتٍ في السّماءِ قال طَرفة وذَكَرَ نساءً (طرفة بن العبد، ٢٠٠٢، : ٤١).

كَبَنَاتِ المَخْرِ يَمْأدنَ، كما أنْبَتَ الصّيْفُ عَساليجَ الخُضَرْ " (ابن السكيت: ١٠).

والذي سوّغ الإبدال بين الباء والميم؛ أنهما حرفان شفهيان تقاربا في المخرج وتقاربا في الصفة؛ إذ أنّهما مجهوران كذلك (سيبويه، ١٩٨٨، ٤: ٤٣٤). ولا فرق بينهما سوى أن الهواء مع الباء يتخذ مجراه من ألفم، ومع الميم يتخذ مجراه من الأنف (أنيس، ١٩٦١: ١٨٩)؛ كما أنهما اختلفا في صفة أخرى هي أن الباء حرف شديد والميم حرف متوسط شبيه بأصوات اللين أي ليس بالشديد ولا بالرخو (أنيس، ١٩٦٥: ١١٨)؛ وزعم مكي بن أبي طالب أن الباء والميم كليهما شديد إلا أن الميم فيه غنّة ولولا هذه الغنّة التي في الميم وجريان النفس معها لكانت باء، إذ كلاهما من مخرج واحد وكلاهما مجهور شديد (القيسي، ١٩٩٦: ٢٠٣).

٥- الإبدال في تاء الافتعال:

لاحظ علماء العربية أنّ حرف التاء في صيغة (افتعل) يبدل دالا أو طاء (سيبويه، ١٩٨٨، ٤: ٢٩٣). وكما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [القمر ١٥]، يقول الجمل: "قوله: (وكذا المعجمة) أي وكذا الذال المعجمة التي قبل التاء أبدلت أيضاً دالاً مهملة، وقوله أدغمت أي الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة، وقوله: فيها، أي في الدال المنقلبة عن التاء"(الجمل، ٢٠٠٩، ٧: ٣٥٧). فتاء الافتعال أبدلت لتوافق الحرف الذي يليها أو الذي قبلها في صفة الجهر، فكان الأصل في (مدّكر)، هو اسم الفاعل من افتعل، أي كان أصله هو (مذتكر)، فالتاء حرف مهموس والذال حرف مجهور، فأبدلت التاء دالاً، ومن ثمّ أبدلت الذال التي تكون قبلها دالاً أيضاً وأدغمت مع مابعدها، فصارت الكلمة (مدّكر).

ويبدل حرف التاء طاء بعد واحد من الأحرف المطبقة (الصاد – الضاد – الطاء- الظاء) (ابن سيدة،١٩٩٦، ٤: ١٨٠)، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، أمّا الجمل لم يشر إلى هذا النوع من الإبدال.

٦. الإبدال بين الكاف والقاف.

ان التقارب بين صوتي الكاف والقاف سوغ الإبدال فيهما، لأنّهما متقاربان من المخرج، كما نقل د.أحمد المختار عن سيبويه وابن جني أن مخرج الكاف يلي مخرج القاف. [مختار،١٩٧٦، : ٢٩٣] ، ولكن القاف أعمق قليلاً في مخرجها، وإذا قمنا بالموازنة بين الصوتين فنجد أنّ الكاف أيسر نطقاً من القاف مخرجه، وعدم تدخل مؤخر اللسان بحركة ثانوية في أثناء نطقه، والقاف من أصوات القلقة، أما الكاف فلا. [أمين آغا،٢٠٠٧: ٣٣] ، وقد ذهب د.إبراهيم أنيس إلى أن القاف تعود إلى البيئة البدوية، والكاف إلى البيئة الحضرية، [أنيس،١٩٦٥: ١٩١] ، كما في قوله تعالى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ [التكوير: ١١]، يقول الجمل نقلاً عن القرطبي: "فالكشط قلع عن شدّة النزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره، والقشط لغة فيه، وفي قراءة عبدالله وإذا السماء قشطت وكشطت البعير كشطاً نزعت جلده" [الجمل، ٢٠٠٩، ٨: ٢٦٢] وقال الزمخشري حول هذا الإبدال: واعتقاب الكاف والقاف كثير، يقال: لبكت الثريد ولبقته، والكافور والقافور" [الزمخشري، ٢٠١٢، ٤: ٥٣٣]

وقد نسب ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) [كشط] إلى قريش، و[قشط] إلى تميم وقيس وأسد. [ابن السكيت: ٣٧]

المبحث الثالث

القلب المكاني

القلب قي اللغة يقال: " قَلَب الشيءَ قَلْباً: حوّله عن وجهه، وكلامٌ مقلوب، وقَلَب ردَاءه، وقَلَبَه لوجهه: كبّه، وقَلَبَه ظهراً لِبَطن، وقلب البيطار قوائِمَ الدابّة: رفعها ينظر إليها " (الزمخشري، ١٩٩٨، ٢: ٩٤).

أمّا اصطلاحاً؛ فيعرف القلب المكاني بأنه " تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، وأكثر ما يتفق القلب قي المعتل والمهموز " (الاستراباذي،١٩٧٥،١: ٢١).

وهو ظاهرة لغوية معروفة في كلام العرب قال ابن فارس(ت ٣٩٥هـ): "ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة، فقولهم: " جَذَب وجَبَذ، وَبكَلَ ولَبَكَ، وهو كثير قد صّنفه علماءاللغة " (ابن فارس،١٩٩٧: ١٥٣). وأول من أشار إلى هذه الظاهرة الخليل(ت ١٧٥هـ) وتبعه سيبويه (١٨٠هـ) في ذلك ونقل عنه القلب في مألك وملأك ونقل عنه أيضاً في كلمة اليمي وأنها مقلوبة عن اليوم في قول الشاعر :

مَرْوان مَرْوان أخي اليوم اليمي(سيبويه،١٩٨٣، ٤: ٣٨٠)

وعَقَدَ ابن دريد(ت ٣٢١هـ) للقلب المكاني بابا سماه (باب الحروف التي قلبت) ذكر فيه طائفة من الالفاظ التي قلبت في كلام العرب كقولهم: ما أطيبه وما أيطبه، ورَبَضَ ورَضَبَ الشاة، واضمحلّ وامضحلّ ولبكت الشي وبكلته. (ابن دريد،١٩٨٧، ٣: ٤٣١).

ويقع القلب المكاني في كلام العرب " بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي "(المختار،١٩٧٦: ٣٣٦)، وقيل: أن الغالب فيه أنه يحدث " اعتباطاً، أي دون قاعدة محددة يسير عليها، سوى الرغبة في تخفيف اللفظ؛ فالناطق بفطرته يميل إلى السهولة في الكلام، فيقدم بعض الأصوات ويؤخر أخرى " (آل ياسين،١٩٨٠: ٤٠٦)، ولذلك فهو سماعي لا يقاس عليه " ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب " (السيوطي،١٩٩٨، ١: ٢٧٥)، وعلى هذا الأساس لم يعد ابن جني جَبذَ مقلوباً من جَذَب، إذ قال: " ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً،

تقول جَذَب يجذب جذباً فهو جاذب وجَبَذ يجبذ جبذاً فهو جابذ، فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر " (ابن جني، ٢: ٦٩).

ومن أسباب ظاهرة القلب المكاني الرئيسة – كما يرى المستشرق برجسترا سر – تجنب صعوبة النطق الناشئة من تجاور بعض الأصوات، ولذلك حدث تقديم وتأخير.(برجستراسر،١٩٨٢: ٣٩). فالغاية تسهيل النطق وتخفيف المجهود العضلي، وهي نتيجة من نتائج تفاعل الأصوات المتجاورة. فالقلب المكاني يؤدي إلى تتابع صوتي اكثر اتساقا مع النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة(مختار،١٩٧٦: ٣٣٥).

وتقديم الحروف أو تأخيرها "اكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوه، كـ(ناء يناء) في (نای ينای) و (راء) في (رای)، و (لاع، وهاع، وشواع) في (لائع، وهائع، وشوئع)... وقد يقدم متلو الآخر على العين نحو: (طأ من) وأصله (طمأن)، لانه من الطمأنينة، ومنه اطمأن يطمئن اطمئنانا، وقد تقدم العين على ألفاء كما في (أيس، وجاه، وأينق، والآراء، والآبار، والآدر) وتقدم اللام على ألفاء كما في (أشياء) على الأصح، وقد تؤخر ألفاء عن اللام كما في (الحادي) وأصله (الواحد)" (الاستراباذي،١٩٧٥، ١: ٢١).

ولابد للقلب المكاني من علامات يعرف بها اللفظ الأصل من المقلوب عنه، ومن هذه العلامات:

١-بما اشتق منه الكلمة التي فيها القلب، فان مصدر (ناء يناء): النأي لا النيء.

٢- بالكلمات المشتقة مما اشتق منه المقلوب، فان (توجه ووجه، وواجهته، والوجاهة) مشتقة من (الوجه)، كما ان (الجاه) مشتق منه، وكذلك (الواحد) و (توحد) مشتقان من (الوحدة) كاشتقاق (الحادي) منها، و (الاقواس) و (تقوس) مشتقان من (القوس) اشتقاق (القسي) منه.

٣- حق العلامة ان تكون مطردة، وليس صحة الكلمة نصا في كونها مقلوبة، إذ قد تكون لأشياء أخر كما في (حول و عور)، أي انه إذا كانت احداهما صحيحة مع ثبوت العلة فيها دون الأخرى كـ (أيس) مع (يئس) فالصحيحة مقلوبة من الأخرى.

٤- قلة استعمال احدى الكلمتين، وكثرة استعمال الأخرى المناسبة لها لفظا ومعنى. (الاستراباذي،١٩٧٥، ١ : ٢٣- ٢٤).

فمن هذه العلامات قد نستطيع تحديد اللفظ الأصلي من المقلوب "اما إذا كان للكلمة نظمان قد تصرف كل واحد منهما على حد تصرف الآخر، ولم يكن احدهما مجردا من الزوائد، والاخر مقترنا بها، ولم يكن في احد النظمين ما يشهد له بانه مقلوب من الآخر، فان كل واحد منهما أصل بنفسه وذلك مثل: جذب وجبذ)، لأنه يقال: يجذب ويجبذ وجاذب وجابذ..."(ابن عصفور، ١٣٩٠هـ: ٣٩٣).

وهاتان اللفظتان – جبذ وجذب – وما كان من بابهما لم يعده سيبويه من باب القلب المكاني، يقول: "واما جذبت وجبذت ونحوه فليس فيه قلب، وكل واحد منهما على حدته، لان ذلك يطرد فيهما في كل معنى، ويتصرف ألفعل فيه، وليس هذا بمنزلة أم لا يطرد مما إذا قلبت حروفه عما تكلموا به وجدت لفظه لفظ ما هو في معناه من فعل أو واحد هو الأصل الذي ينبغي ان يكون ذلك داخلا عليه كدخول الزوائد" (سيبويه، ٤: ٣٨٠). فحجته في عدم وجود القلب بينهما. ان كل واحد منهما منفصل عن الآخر في الاستعمال والتصرف وهذا التميز بينهما مطرد في استعمالهما.

أما ورود هذه الظاهرة عند الجمل فقد كان في عدة مواضع، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١]. يقول الجمل: "قوله (عن أشياء) ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، ووزنه الآن (لفعاء) وذلك أنّه جمع شيء بوزن (فلس) فجمعه شيئاء بوزن فعلاء، فالهمزة الأولى لام الكلمة، والالف بعدها، والهمزة الأخيرة زائدتان، فدخله القلب المكاني فقدمت

الهمزة التي هي لام الكلمة فصار أشياء بوزن لفعاء" [الجمل، ٢٠٠٩، ٢: ٢٩٨] أمّا الخليل وسيبويه وجمهور البصريين فيرون أنّ أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف، وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها الثانية للتأنيث؛ ولذا لم تنصرف كحمراء، وهي مفردة لفظاً جمعٌ معنى، ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قُدّمت الأولى التي هي لام الكلمة فجُعِلتْ قبلَ الشين فصار وزنها لفعاء " (سيبويه،١٩٨٣، ٤: ٣٨٠) ، ونفى الكسائي (ت ١٨٢هـ) والفرّاء (ت ٢٠٧هـ) القلب في أشياء ونقل الرضي عن الكسائي قوله: "أشياء أفعال، وليس بمقلوب، وإن أدى إلى منع الصرف من غير علة " (الاستراباذي،١٩٧٥، ١: ٢٩). وأمّا الفرّاء فيذهب مذهباً مختلفاً عن البصريين أيضاً حيث قال: " أن أشياء جمعت عَلَى أفعِلاء كما جمع لَيِّن وأَلْيِناء، فحذف من وسط أشياء همزة، كَانَ ينبغي لَهَا أن تكون (أَشْيِئاء) فحذفت الْهَمْزَةُ لكثرتها. وقد قالت العرب: هَذَا من أبناوات سعد، وأُعيذكَ بأسَمَاوَاتِ الله، وواحدها أسماء وأبناء تجري، فلو مَنَعْتُ أشياء الْجَرْي لجمعهم إياها أشياوات لَمْ أُجر أسماء ولا أبناء لانهما جُمِعَتَا أسَمَاوَاتِ وأبناوات".(الفرّاء،١٩٨٠ ،١: ٣٢١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] يرى الجمل أنّ قوله تعالى [بئيس] يكون على وزن فعيل وهو مأخوذ من بؤس يبؤس بأساً وذلك إذا اشتدّ، قدذكر أنّ أبا بكر قرأ (النسفي،١٩٩٨، ١: ٦١٤) بعذابٍ بَئِئَس على وزن فَيْعَل كضيغم هو لغة في بئيس ومثله صَيرف، إذا كان يتصرف في الأمور وقد ورد هذا القلب في قول الشاعر: (هو امرىء القيس بن عابس الكندي، ينظر: الطبري،٢٠٠٠، ١٣: ٢٠٠)

كلاهما كان رَئيساً بَئِئَسا يضربُ في يوم الهمياج القَوْنَسا

وقد جاءت بَئِئَس في البيت المذكور على وزن ضيغم (الطبري،٢٠٠٠، ١٣: ٢٠٠)، أمّا ابن عامر فقد كان يقرأه بئس بكسر الباء و تكون الهمزة على أنّ أصله بئس كحذر، فخففت عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد، وقد قرأه نافع [بَئِس] على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب" [الجمل،٢٠٠٩،٢٠٠٩، ٣: ١٦٣] ، وهنا يتضح لنا أن الجمل أشار إلى هذا القلب المكاني المشهور عند بعض العلماء ولكنه لانرى أي ترجيح منه هل هو صواب أم لا.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢]، يقول الجمل نقلاً عن السمين: "قوله [الأيامى] جمع أيِّم بزنة فيعل يقال منه آم يئيم كباع يبيع، وقياس جمعه أيائم كسيد وسيائد وآيامى فيه وجهان، أظهرهما: من كلام سيبويه رحمه الله تعالى أنّه جمع فعالى غير مقلوب وكذلك يتامى، وقيل: إنّ الأصل أيايم ويتايم في أيم ويتيم فقلبا" [الجمل،٢٠٠٩، ٥: ٢٩٥] ومن هؤلاء الذين يرون أنّ هناك قلبا في (أيامى) أبو عمرو بن العلاء وقد نقل أبو حيان عنه قوله: "وأيامى مقلوب أيائم " (الأندلسي،١٤٢٠هـ، ٨: ٣٨)، أما سيبويه؛ -كما نقل عنه الجمل- فلا يرى القلبَ فيها وإنما ذهب إلى أن أيامى جمع أيِّم شبهوه بوجاعى وحباطى؛ لأنها مصائب قد ابتلوا فيها فأجروا ذلك على المعنى فقالوا يتيم ويتامى وأيّم وأيامّى، فاجروه مجرى وجاعى(سيبويه،١٩٨٣، ٣:٦٥٠).

٤- صاعقة صاقعة:

يقول الجمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ١٩]: "والصواعق: جمع صاعقة، وهي الضجة الشديدة من صوت الرعد، يكون معها القطعة من النار، ويقال: (ساعقة) بالسين، و (صاعقة) و (صاقعة) بتقديم القاف"(الجمل،٢٠٠٩، ١: ٣٩) وقد أنشد(البيت منسوب لابن احمر في ابن منظور: مادة صعق):

ألم تر ان المجرمين أصابهم صواقع لا بل هن فوق الصواقع

ومثله قول الآخر (أبو النجم، ينظر، القرطبي، ١٩٦٤، ١: ٢١٩):

يحكون بالمصقولة القواطع تشقق اليدين بالصواقع

والصاقعة بالقلب هي قراءة الحسن(ينظر: الدمياطي، ٢٠٠٦م: ١٣٠). قال النحاس: "وهي لغة (تميم) وبعض (بني ربيعة)، فيحتمل ان تكون (صاقعة) مقلوبة من (صاعقة) ويحتمل ألا تكون. وهو الأظهر لثبوتها لغة مستقلة كما تقدم"(النحاس،١٩٨٨، ١: ١٤٤). فالجمل ذكر أنّ (صاقعة) على ان تكون مقلوبة من (صاعقة)، والحقيقة ان من أسباب القلب المكاني اختلاف اللغات، فهي من باب القلب المكاني(الجمل، ٢٠٠٩، ١: ٣٩).

وذهب الزمخشري إلى أنّ هاتين اللفظتين بناءان سواء في التصرف (الزمخشري،٢٠١٢: ١: ٧٣). إلا أنّ أبا حيان ذكر أنّ الجمهور على القلب (الأندلسي، ١٣٢٨هـ، ١: ١٣٨) وهذا هو الصواب.

٥ - هاير هار:

ذكر أبو حيان في (البحر المحيط) ان (هار) فيه وجهان: الأول: انه من باب (فعل) أي: (هير) أو (هور) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا. والثاني: انه من باب (فاعل) أي: (هأير)، ثم اخرت العين، ثم اعل اعلال قاض(الأندلسي،١٤٢٠هـ، ٥: ٤٨٨). ويرى الجمل ان في (هار) ثلاثة أقوال وأشار إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]: "قوله: (هار) نعت لـ (جرف) وفيه ثلاثة أقوال: أحدها – وهو المشهور – انه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك ان أصله: (هاور) أو (هاير) بالواو أو الياء، لانه سمع فيه الحرفان قالوا: هار يهور ويهار، وهار يهير، وتهور البناء، وتهير. فقدمت اللام، وهي (الراء) على العين، وهي (الواو) أو (الياء) فصار كـ: غاز، ورام، فأعلّ بالنقص كإعلالهما، فوزنه بعد القلب: (فالع) ثم تزنه بعد الحذف بـ (فال). القول الثاني: إنّه حذفت عينه اعتباطا، أي: لغير موجب، وعلى هذا، فيجري بوجوه الإعراب على لامه، فيقال: هذا هار ورأيت هارا، ومررت بهار، ووزنه أيضا (فال). القول الثالث: إنه لا قلب فيه ولا حذف وان أصله: (هور) أو (هير) بزنة (كتف) فتحرك حرف العلة، وانفتح ما قبله، فقلب ألفا، وعلى هذا فتجرى وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، كما تقول: هذا باب، ورأيت باباً، ومررت باب، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب، والحذف اللذين هما على خلاف الأصل لولا انه غير مشهور عند أهل التصريف"(الجمل،٢٠٠٩، ٣: ٣٢٤)

فعلى القول الأول: إنّ (هار) من باب القلب المكاني قدمت عينه على لامه، ثم أعل بالحذف ففيه قلب وحذف، وعلى القول الثاني أنّ (هار) لا قلب فيه بل حذفت عينه فقط. وأمّا على القول الثالث: فإنّ (هار) لا قلب ولا حذف فيه، وأنّ أصله (هور) أو (هير)، وقد رجحه الجمل.

٦- نسي نيس:

في اشتقاق لفظة (الناس) ثلاثة أقوال: الأول قول سيبويه والفراء وهما يعتقدان أنّ أصله (أنس) والثاني قول الكسائي فهو يرى أنّ أصله (نوس). والثالث قول ابن عباس(ت ٦٨هـ) حيث يذهب أنّ أصله (نسي) لأنه عهد إليه فنسى(ابن قتيبة،١٩٦٧: ٦٣٧)، فحدث قلب مكاني فيه فأصبح (نيس)، ثم قلبت الياء ألفا فأصبح (ناس). يقول الجمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: "والناس اسم جمع لا واحد له من لفظه، ..... وأصل ناس أناس كما يشهد له إنسان وأناسي، وانس حذفت همزته تخفيفاً وعوض عنها حرف التعريف، .....وذهب بعضهم إلى أنّ أصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها، وذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من نسي نقلت لامه إلى موضع العين فصار نيس ثمّ قلبت ألفاً سموا بذلك لنسيانهم" (الجمل،٢٠٠٩،٢٠٠٩، ١: ٢٨) فأمّا الذين يرون أنّ أصله همزة ونون وسين، وأنّه مشتق من الأنس هم سيبويه والفراء(سيبويه، ٤: ٢٥٩)، قال الشاعر:(ينظر: القرطبي، ١٩٦٤، ١: ١٩٣)

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ولا القلب إلا انه يتقلب

لأنه أنس بـ (حواء). وقيل بل أنس بربه ثم حذفت الهمزة تخفيفا، يدل على ذلك قوله:(هو ذو جدن الحميـري، ينظـر: البغدادي،١٩٩٧، ٢: ٢٨٧)

ان المنايا يطلعـــــــ ن على الاناس الآمنينا

وقال آخر (هو الأخنس بن شهاب التغلبي، ينظر: المفضل الضبي،١٩٧٦: ٢٠٨):

ونحن أُناسٌ لا حِجَازَ بأَرْضِنا مع الغَيْثِ ما نُلْقَى ومَنْ هو غالِبُ

وقال آخر(هو لبيد بن ربيعة، ربيعة،١٩٦٨: ٢٥٦):

وكل أناس سوف تدخل بينهم دو ينهية تصفر منها الأنامل

أمّا الكسائي(ت ١٨٢هـ) فقد ذهب إلى أنه من (نون وواو وسين): (نـوس) فقلبـت (الـواو) ألفا لتحركها، وانفتـاح مـا قبلها، والنوس: الحركة. [النحاس،١٤٢١هـ، ٣: ٣٦٢]

وامّا الذّين ذهبوا إلى انه من (نون وسين وياء) والأصل (نسي) ثم قلبت اللام إلـى موضـع العـين فصـار: (نـيس) ثـم قلبت الياء ألفا لما تقـدم فـي (نـوس) قـال: سـموا بـذلك لنسـيانهم، ومنـه الإنسـان لنسـيانه فهـم الخليـل وابـن الأنبـاري (الفراهيدي،١٩٨٥، ٨: ٣٨ وينظر: القيسي،١٩٧٥، ٢: ٨٥٦) ، وقد قال: (ينظر، القرطبي،١٩٦٧، ١: ١٣٥)

فإن نسيت عهودا منك سألفة فاغفر فأول ناس أول الناس

فوزنه على القول الأول: (عال)، وعلى الثاني: (فعل)، وعلى الثالث: (فلع) بالقلب (ينظر: ابن عادل، ١٩٩٨، ١: ٣٢٨).

فأصل الاختلاف في هذه اللفظة يرجع إلى اشتقاقها والزيادة فيها. ولا تظهر ظاهرة القلـب المكـاني إلا فـي المـذهب الثالث القائل بان أصل كلمة إنسان من (نسي) ثم قلبت اللام إلى موضع العين فصار (نيس) وما اعتراها مـن إعـلال بعـد ذلك ؛ فعلى هذا المذهب وزنها (فلع) أي حدث اقلاب مكاني في لفظها.

٧ – الدون والدنو:

اختلف المفسرون في أصل لفظة أدنى عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَـى بِالَّـذِي هُـوَ خَيْـرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، ذكر الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) قولين : أحدهما أنّ (أدنى) مأخوذ من الدنو، والثاني: أنّه مشتق من الدناءة، وأنّه يـرى أنّ العرب لايهمزون إلاّ إذا كان من الحسة، وهم في ذلك يقولون إنّه لداني خبيـث. (الفـراء، ١٩٨٠، ١: ٤٢) أمـا القرطبـي فقد ذكر ثلاثة مذاهب في أصل هذه اللفظة: الأول أنّه مأخوذ من الدنو ويأتي بمعنـى القـرب، والثـاني: أنّـه مـأخوذ مـن الدنيء ويأتي بمعنى الأخس، والثالث: أنّه مأخوذ من الدون، أي الأحط، وعلى المذهب الأخير حدث فيه القلب، حيث إنّ أصله من أدون على وزن أفعل، ثمّ قلب فجاء على وزن أفلع، وبعد ذلك حولت الواو ألفا لتطرفها(القرطبي، ١٩٦٧، ١: ٤٢٨) ، وقد ذكر الجمل أيضاً هذه المذاهب الثلاثة التي أشار إليها القرطبي في تفسيره، ولكنه رجح المـذهب الأول الـذي يـرى أنّ لفظة [أدنى] مأخوذة من الدنو، ولا قلب فيها . (الجمل، ٢٠٠٩، ١: ٩٤)

الخاتمة

بعد أن منّ الله تعالى علي بإتمام هذا البحث، اذكر أهم النتائج التي وقفت عليها والخصـائص التـي تميـز بهـا الشـيخ سليمان بن عمر الجمل في طروحاته اللغوية. ولعل من أبرزها:-

١-امتاز منهج الشيخ الجمل في أغلب الأحيان بعرض المادة العلمية المنتقاة من مصادر سبقته، ومـن أقـوال العلمـاء اللغوية وغيرهم، ولا سيّما الفقهاء ونادراً ما نجده في بعض النصوص واضعا رأيه نصب آراء العلمـاء أو محاولـة تـرجيح رأي على رأي آخر، أما في أغلب الأوقات نرى الجمل كان يكتفي بعرض تلك الآراء من غير ان يرجح أياً منهـا أو يخطـئ أو يصوب.

٢. تعرض الشيخ الجمل إلى ظاهرة الإبدال الصوتية عارضاً فيها أهم الآراء والقراءات التي قيلت عند سابقيهن موجهاً لبعض القراءات توجيهاً صوتياً كما حدث في توجيهه لقراءة (قنبل)، في حديثه عن غبدال السين والصادن أو إبدال السين زاياً.

٣- لم نر الشيخ الجمل في باب القلب المكاني أن يدلو إلى جانب العلماء الآخرين برأي خاص له حول هذه الظاهرة بشكل صريح ولم نجده أن يرجح أيّة قراءة من هذه القراءات الواردة حول هذا الموضوع.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٣. ابن إليان، يوسف بن إليان بن موسى، (ت ١٣٨٥١هـ)، حلية البشر في تأريخ القرن الثالث عشر، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨م.

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٠.

٥. ابن الجوزي،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير،ط١، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦. ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

٧. ابن ربيعة، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط١، دار المعرفة، ٢٠٠٤.

٨. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)،الكنز اللغوي في اللَسَن العربي، المحقق: أوغست هفنر، د.ط، المطبة الكاثوليكية للآباء، بيروت.

٩. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٠. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، [اللباب في علوم الكتاب]- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

١١. ابن عصفور، علي بن مؤمن (المتوفى: ٦٦٩هـ)، الممتع في التصريف، المحقق: فخرالدين قباوة، د.ط، حلب، ١٣٩٠هـ.

١٢. ابن عقيل، بهاءالدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل، المحقق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة،٢٠٠٩.

١٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٤. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (المتوفى: ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.
١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،لسان العرب، الطبعة: الثالثة، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.
١٦. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، الطباعة المنيرية.
١٧. أبو طيب، عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي، كتاب الإبدال، المحقق: عزالدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.
١٨. الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٩. آل ياسين، محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، د.ط، بيروت، ١٩٨٠.
٢٠. أمين آغا، طه صالح أمين آغا، التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م.
٢١. الاندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، د.ط، ١٤٢٠ هـ.
٢٢. أنيس:
١.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
٢.إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٣. برجستراستر، التطور النحوي للغة العربية، إعداد، د.رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٢٩م.
٢٤. البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٢٥. البقلي، محمد قنديل البقلي، المختار من تأريخ الجبرتي، مطابع الشعب، ١٩٥٨م.
٢٦. البيطار، عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم، البيطار الميداني الدمشقي،(المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تأريخ الثالث عشر، المحقق: محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٧. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ)،تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل بيروت.
٢٨. الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل(المتوفى: ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٩. حسان، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٣٠. الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق: أنس مهرة، الطبعة: الثالثة، دار الكتب العلمية – لبنان،٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
٣١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

٣٢. الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ظبط وتوثيق: أبو عبدالله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
٣٣. زيدان، عادل أحمد زيدان، أبو طيب اللغوي وآثاره في اللغة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠م.
٣٤. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، ١٩٨٣م.
٣٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت،، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٣٦. شاهين، عبدالصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣٧. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٨. العكبري، عبدالله بن الحسين أبو البقاء (المتوفى: ٦١٦هـ)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣٢١هـ.
٣٩. الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي نجار، أحمد يوسف نجاتي، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٠. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(المتوفى: ١٧٥هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٥م.
٤١. القالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الطبعة: الثانية، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦م.
٤٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية دار الكتب المصرية – القاهرة،١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٤٣. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(المتوفى: ٤٣٧هـ)،، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمار، عمان، ١٩٩٦م.
٤٤. الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: ٢، دار الغرب الإسلامي – بيروت،١٩٨٢م.
٤٥. مختار، د.أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٦م.
٤٦. المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٦م.
٤٧. النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
٤٨. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت،١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.